وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية العلوم الإسلامية

الأمن في مقاصد الشريعة الإسلامية

الدكتور وليد هاشم كردي الصميدعي

بِسْمِ اللَّهِ الرحمن الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله وبه نستعين على أمور الدنيا والدين ، ونسأله تعالى العمل بالكتاب المبين وسنة سيد المرسلين ، ونعوذ به من همزات الشياطين ونزعات الملحدين ، والمتقولين على الله بما ليس لهم به علم من المتشدقين والمتفيهقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد العظيم قدره في كل أمة وعلى آله وأصحابه الأئمة والتابعين لهم بإحسان في كل مهمة.

أما بعد: فإن الأمن مطلب شرعي ونعمة من نعم الله العظيمة التي وهبها الله لعباده ، وابتداء سيدنا إبراهيم بطلب نعمة الأمن في قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً)[1] ، وتضرعُ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بالدعاء سائلا الله عز وجل أن يهبها إياه كلما رأى الهلال بقوله: (اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمَانِ وَالسَّلامَةِ وَالإِسْلامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللَّهُ)[2] يدل على أنه أعظم أنواع النعم والخيرات ، وأنه لا يتم شيء من مصالح الدين والدنيا إلا به ، وسئل بعض العلماء الأمن أفضل؟ أم الصحة. فقال: الأمن أفضل ، والدليل عليه أن شاة لو انكسرت رجلها فإنها تصح بعد زمان ، ثم إنها تقبل على الرعي والأكل ، ولو أنها ربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب ، فإنها تمسك عن العلف ولا تتناوله إلى أن تموت ، وذلك يدل على أن الضرر الحاصل من الخوف أشد من الضرر الحاصل من ألم الجسد.[3]

وحاجة الناس إلى الأمن ضرورية ، كحاجتهم إلى الطعام والماء ، لذلك جاء الأمن في القرآن والسنة مقروناً بالطعام الذي لا حياة للإنسان ولا بقاء له بدونه ، لذا فالأمن نعمة عظيمة لا طيب للعيش إلا بها ويغبط عليها كل من أعطيها ، لذلك مَنَّ الله بها على عباده ؛ فقال سبحانه: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)[4] وقال صلى الله عليه وسلم: (من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا)[5] ، و نعمة الأمن لم يعرف قدرها إلا من فقدها، فلما فقدناها شعرنا بعظمة نعمتها وقد بين ذلك رسول اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فقال: (الأَمْنُ وَالْعَافِيَةُ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ الناس)[6] ، والذي دعاني للكتابة في هذا الموضوع ما يحصل وما يُرى اليوم من قتل واختطاف ، وسفك للدماء وتناثر للأشلاء وموت بالجملة ، وسرقة وسطو على البنوك ، وهدر للأموال وجرائم مخلة بالأمن ، واقتضى منهج البحث وخطة تقسيم هذه الدراسة على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

---

[1] - سورة البقرة آية (١٢٦)
[2] - صحيح ابن حبان ج٣/ص١٧١ رقم (٨٨٨)
[3] - التفسير الكبير ج١٩/ص١٠٧
[4] - سورة قريش آية (٣-٤)
[5] - سنن الترمذي ج٤/ص٥٧٤ رقم (٢٣٤٦)
[6] - المعجم الأوسط ج١/ص١٩٨ رقم (٦٣١) ، المعجم الكبير ج١١/ص٤٣٤ رقم (١٢٢٣١)

وأخيرا هذا مبلغي من العلم ، وقد بذلت غاية جهدي في كتابة هذا البحث ، فان كنت قد أصبت فللّه الحمد على ما هداني إليه ، وان لم أوفق لذلك فمني ومن الشيطان ، وحسبي أني سعيت للوصول إلى هذا الهدف ، والكمال لله وحده.

المبحث الأول: معنى الأمن والمقاصد في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: الأمن في اللغة والاصطلاح

الأَمْنُ في اللغة ضد الخوف وهو بمعنى السكينة والطمأنينة ، يقال: أمِنَ أمْنًا وإمْنًا وأَمَنًا وأَمَنَةً وأَمَانًا فهو آمِن ؛ قال الله تعالى: (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ)[7] ، وقال تعالى: (وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)[8] أي ذا أَمْنٍ فهو آمِنٌ وأَمِنٌ ، يقال: أمن البلد أي اطمأن به أهله ، فهو آمن وأمين وهو مأمون الغائلة ، أي ليس له غور ولا مكر يخشى ، والأمين المؤتمن ، ويقال: رجل أُمَنَة للذي يأمنه الناسُ ولا يَخافون غائلَته ، ويقال رَجل أَمَنة بالفتح للذي يصدّق بكُل ما يَسمع ولا يكذّب بشيء ، ورُجل أَمَنَةٌ أيضاً إذا كان يَطمئن إلى كُل أحد ، وأستأمن إليه دخل في أمانه ويقال: وإنّه لرجلٌ أُمّانٌ أي له دِينٌ ، وآمنت الأسير بالمد أي أعطيته الأمان فَأمِنَ هو (بالكسر) ، وآمنت بالله إيمانا أي أسلمت له ، وآمن بالشيء وآمن له صدقه فهو مؤمن به ، وأمِنَ (بالكسر) أمانة فهو أمين ، ثم استعمل المصدر في الأعيان مجازا ، فقيل الوديعة أمانة.[9]

والأمن في الاصطلاح: هو السكينة والطمأنينة من كل سوء وآفة ومكروه ؛ قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ • فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ • يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ • كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ • يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ • لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)[10] ، فجمع الله لهم بين أمن المكان وأمن الطعام ، فلا يخافون انقطاع الفاكهة ، ولا سوء عاقبتها ومضرتها ، وأمن الخروج منها ، فلا يخافون ذلك وأمن من الموت ، فلا يخافون فيها موتا.[11]

المطلب الثاني: المقاصد في اللغة والاصطلاح:

المقاصد لغة: جمع مقصد، وهو الشيء الذي يقصد، موضعا كان أو غيره، والقصد: إتيان الشيء. قال ابن جني: "أصل (ق ص د) ومواقعها في كلام العرب: الاعتزام والتوجه، والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان ذلك أم جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى؛ فالاعتزام والتوجل شامل لهما جميعا."[12]

---

[7] - سورة الأنفال آية (١١)
[8] - سورة البقرة آية (١٢٥)
[9] - ينظر: لسان العرب ج١٣/ص٢١ ، المصباح المنير ج١/ص٢٤ ، تهذيب اللغة ج١٥/ص٣٦٧ ، المحكم والمحيط الأعظم ج١٠/ص٤٩٢
[10] - سورة الدخان آية (٥١-٥٦)
[11] - حادي الأرواح ج١/ص٧٠
[12] - لسان العرب ج٣/ص٣٥٥ ، المحكم والمحيط الأعظم ج٦/ص١٨٧

وَفِي الاِصْطِلاَحِ : لَمْ يَتَعَرَّضْ عُلَمَاءُ الأُصُول إِلَى تَعْرِيفِ الْمَقَاصِدِ ، وَالَّذِي يُسْتَخْلَصُ مِنْ كَلاَمِهِمْ فِي ذَلِكَ : أَنَّهَا الْمَعَانِي وَالْحِكَمُ الْمَلْحُوظَةُ لِلشَّارِعِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِ التَّشْرِيعِ أَوْ مُعْظَمِهَا ، بِحَيْثُ لاَ تَخْتَصُّ مُلاَحَظَتُهَا بِالْكَوْنِ فِي نَوْعٍ خَاصٍّ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ.[13]

تمهيد:

إن الشريعة جاءت لمصالح العباد في العاجل والآجل معا في جو من العدل والأمن والسلام ، وتكاليفها ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق وهذه المقاصد على ثلاثة أقسام:

المقاصد الضرورية: هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ، بل على فساد وتهارج وفوت حياة ، وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين.

وتنحصر المصالح الضرورية المبنية على حفظها مصالح الدين والدنيا للناس في نظر الإسلام في خمسة أشياء، وهي الدين، والنفس، والعقل، والنسل أو العرض أو النسب، والمال.[14]

وجاءت الشريعة الغراء لحفظها بتشريع الأحكام التي تحفظ الدين، وتحفظ النفس، وتحفظ العقل، وتحفظ النسل أو العرض أو النسب، وتحفظ المال، قال الغزالي رحمه الله تعالى: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة" ، ثم قال: "وتحريم تفويت هذه الأمور الخمسة، والزجر عنها، يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل، وشريعة من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق، ولذا لم تختلف الشرائع في تحريم الكفر، والقتل، والزنى، والسرقة، وشرب المسكر."[15] وإذا أمن الفرد على دينه ونفسه ، وسلم له عقله وعرضه ، وحفظ له ماله ، فقد جمعت له أطراف الأمن كلها .

والحفظ لها يكون بأمرين أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها ، وذلك مراعتها من جانب الوجود. والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم ؛ فأصول العبادات راجعة إلى حفظ الدين من جانب الوجود كالإيمان. والمقاصد الحاجية: وهي التي يفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين على الجملة الحرج والمشقة ، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة. والحكمة من الحاجيات هي: رَفْع الحرج والمشقة عن المكلفين، إذ دَوَرَان الحاجيّات على التَّوْسِعة والتيسير ، والرفق ورَفْع الضيق والحرج ،وتكميل الضروريات وحمايتها، يقول الشاطبي: "الأمور الحاجيّة إنما هي حائمة حول هذه الحمى، إذ هي تتردد على الضروريات تُكَمِّلها، بحيث ترتفع في القيام بها واكتسابها

---

13 ـ مقاصد الشريعة الإسلامية ص٥١

14 ـ الموافقات ج٢/ص٨ ، ١٧

15 ـ المستصفى ج١ ص١٧٤

المشقّات، وتميل بهم فيها إلى التوسط والاعتدال في الأمور ، حتى تكون جارية على وجه لا يميل إلى إفراط وتفريط).

والمقاصد التحسينية: وهي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق.[16]

المبحث الثاني: الأمن في حفظ الدين

الدين الحق مصلحة ضرورية ، إذ لابد لكل طائفة من بني آدم من دين يجمعهم ، وحاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها ، لان أكثر العالم يعيشون بغير طب ؛ إذ الشريعة مبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية ، فمبناها على الوحي المحض ، والحاجة إلى التنفس فضلا عن الطعام والشراب ، لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن وتعطل الروح عنه ، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ، ففساد الروح والقلب جملة وهلاك الأبدان ، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول والقيام به والدعوة إليه والصبر عليه وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه ، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة ولا سبيل إلى الوصول إلى الأمن والسعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم.[17]

ولحفظ الدين من جانب الوجود شرع الله تعالى وجوب الإيمان به وبرسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر ، والنطق بالشهادتين ، كما شرع أصول العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وبهذه الأمور يوجد الدين ، وتستقيم أمور الناس وأحوالهم ، ويقوم المجتمع على أساس قوي متين.[18] ، ولحفظ الدين اوجب الشارع تبليغه للناس ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالمرْصَدُوْن للعلم، عليهم للأمة حفظ الدين، وتبليغه، فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه، كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين؛ ولهذا قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ)[19] ،فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها فلعنهم اللاعنون حتى البهائم".[20] ومن أجل حفظ الدين ورعايته، وضمانه سليمًا، وعدم الاعتداء عليه، ومنع الفتنة فيه، شرع الإسلام الجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: ((وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ))[21] ، وقال سبحانه وتعالى: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)[22] ، وقال تعالى: (يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)[23]

16- ينظر: الموافقات ج٢/ص٨ ،١٠ ،١٧
17 مفتاح دار السعادة ج٢ ص٢
18 - ينظر: الموافقات ج٢ ص٩
19 - سورة البقرة آية (١٥٩)
20 - مجموع الفتاوى ج٢٨/ص١٨٧
21 - سورة البقرة آية (١٩٣)
22 - سورة الحج آية (٧٨)
23 - سورة التحريم آية (٩)

وشرع الإسلام عقوبة المرتد، لأن ردته خيانة وعبث في الدين والمقدسات، قال تعالى: ((وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[24] ، واتفق الفقهاء على وجوب قتل المرتد لقوله صلى الله عليه وسلم: (من بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ)[25] ، وقوله عليه الصلاة والسلام: (لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا الله وَأَنِّي رسول اللَّهِ إلا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ الثَّيِّبُ الزَّانِي وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ)[26] ،

والردة سلاح خطير، غالبا ما يستعمله الأعداء لتدمير الإسلام وزعزعة المسلمين، وتشكيكهم بدينهم، وإحداث البلبلة بينهم، فقد كان كبار اليهود يأمرون أتباعهم بالتظاهر بالإيمان في أول النهار والكفر في آخره، لكي يقول المسلمون ان الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه دليل على عدم صحته وعدم صلاحيته؛ قال تعالى: (وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ، فكان قتل المرتد علاجاً حاسماً لهذا المكر من الأعداء شرعه الإسلام لسلامة المجتمع الإسلامي واستقراره وأمنه، لذا وجب على ولي الأمر حماية المجتمع من أمثال هؤلاء، فهم داء عضال ، يسعى لتمزيق صف المسلمين وتفريق وحدتهم، وتشتيت جمعهم وتضارب آرائهم، وزعزعة معتقداتهم ، وتعطيل عقوبة الردة معناه إباحة الاعتداء على نظام المجتمع المسلم والخروج على مبادئه والتشكيك في صحة دينه ، ولا يمكن أن ينعم المجتمع بالأمن إذا شكك في دينه.

كما شرع الإسلام لحماية الدين عقوبة المبتدع، والمنحرف عن دينه ، قال ابن القيم رحمه الله في موقف السلف من دفع البدعة: "واشتد نكير السلف والأئمة لها ، وصاحوا بأهلها ، من أقطار الأرض وحذروا فتنتهم أشد التحذير، وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش، والظلم ، والعدوان؛ إذ مضرة البدع وهدمها للدين، ومنافاتها له أشد."[27] وطلب الأخذ على يد تارك الصلاة، ومانع الزكاة، والمفطر في رمضان، والمنكر لما عُلِم من الدين بالضرورة، وغير ذلك، لإبعاد الناس عن الخبط في العقائد، والعزوف عن منابع الإيمان، ولحفظهم عن مفاسد الشرك.[28]

ولحفظ الدين من جهة مكارم الأخلاق شرع المقاصد التحسينية ؛ فالأدب حفظ الحد بين الغلو والجفاء بمعرفة ضرر العدوان ، فإن الانحراف إلى أحد طرفي الغلو والجفاء هو قلة الأدب ، والأدب الوقوف في الوسط بين الطرفين فلا يقصر بحدود الشرع عن تمامها ولا يتجاوز بها ما جعلت حدودا له ، فكلاهما عدوان والله لا يحب المعتدين ، والعدوان هو سوء الأدب وقال بعض السلف: "دين الله بين الغالي فيه والجافي عنه" وحقيقة

---

24 ـ سورة البقرة آية (٢١٧)
25 ـ صحيح البخاري ج٣/ص١٠٩٨رقم٢٨٥٤
26 ـ صحيح مسلم ج٣/ص١٣٠٢رقم١٦٧٦
27 ـ مدارج السالكين ج١/ص٣٧٢
28 ـ ينظر: الموافقات ج٢ ص٩

الأدب هي العدل، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط ، فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخلقين الذميمين.[29]

ومن أعظم الأسباب لحفظ الأمن هو الإيمان بالله، وتطبيق شرعه، والاحتكام إلى كتابه وسنة رسوله ، إذ أن الأمن في الإيمان لفظاً ومعنى ، فمن ابتغاه في غيره ضل وتاه، ولم يتحقق له مراده، ولم يحصل على مبتغاه كما قال تعالى: (كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)[30] ، فالأمن مشتق من الإيمان والأمانة كما قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)[31] ، أدرك ذلك أهل الحكمة والمعرفة فطلبوا الأمن في الإيمان وجعلوه أمنا وطمأنينة وسكناً، ورسموه منهجاً، واتخذوه سبيلاً ، لذا فان الدول العامة الاستيلاء ، العظيمة الملك ، أصلها الدين الحق كما ذكر ابن خلدون رحمه الله فقال: "وجمعُ القلوب وتأليفُها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه، قال تعالى: (لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ)[32] ، وسِرُّهُ أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل، والميل إلى الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها ، فذهب التنافس، وقلّ الخلاف ، وحسن التعاون والتعاضد، واتسع نطاق الكلمة لذلك ، فعظمت الدولة."[33]

ومن مقومات الأمن في بادي الأمر العقيدة الصالحة والتي بها يعم الأمن جميع المجتمع ، ويتحقق وعد الله له بقوله تعالى: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً)[34] لذا حذر الله عز وجل من مخالفة الدين وبين أن في المخالفة الفتنة والعذاب فقال: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[35]

ومن مقومات تحصيل الأمن ودوامه شكر المنعم على نعمه والثناء عليه والتنعم بنعم الله في طاعته لا في معاصيه فإن دوام النعم ومن بينها الأمن والطمأنينة مقيد بشكر المنعم قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)[36] ، وزوال النعم ولا سيما الأمن والأمان مقرون بكفرها قال تعالى: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)[37]

ومن مقومات الأمن وأسبابه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ،وهذا مما فضل الله به هذه الأمة على سائر الأمم فقال: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

---

29 - ينظر: مدارج السالكين ج٢/ص٣٩٢-٣٩٣
30 - سورة النور آية (٣٩)
31 - سورة الأنعام آية (٨٢)
32 - سورة الأنفال آية (٦٣)
33 - مقدمة ابن خلدون ج١/ص١٥٧
34 - سورة النور آية (٥٥)
35 - سورة النور آية (٦٣)
36 - سورة إبراهيم آية (٧)
37 - سورة النحل آية (١١٢)

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)[38] ، ولابد للمجتمع الذي يريد أن ينعم بالأمن من محاربة المعاصي والرذائل والدعوة إلى الإصلاح والفضائل ، فبذلك يكون الأمن والأمان في الدنيا والنجاة في الآخرة كما قال تعالى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[39] ، وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم إن الخوف والهلاك يعم المجتمع بأسره صالحه وسيئه سوى المصلحين فان لهم النجاة فقال لزَيْنَب ابنة جَحْشٍ رضي الله عَنْها عندما قالت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ فقال: (نعم إذا كَثُرَ الْخَبَثُ)[40] ، وبقدر استجابة المجتمع للناصحين يكون الأمن والرخاء في الدنيا والنجاة في الآخرة كما اخبر الله تعالى: (وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[41] ، وبترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يختل الأمن ويحل الفساد والبلاء ويتسلط الأشرار والأعداء كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عن الْمُنْكَرِ وَلَتُحَاضُنَّ على الْخَيْرِ أو لَيُسْحِتَنَّكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ جميعا أو لَيُؤَمِّرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لهم)[42]

والذنوب والمعاصي وعدم الاحتكام لشرع الله من أعظم أسباب فقدان الأمن وزوال الأمان وضنك العيش ونزول البلاء والداء وتسلط الأعداء وحصول الفتن وفساد المجتمع وفساد الماء والهواء ، فمن أطاع الله انقلبت المخاوف في حقه أمانا ، ومن عصاه انقلب مأمنه مخاوف ، فمن خاف الله آمنه من كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء[43] ، فإن الله عز وجل قد وعد في محكم تنزيله للمستقيم الأمان من الخوف والحزن والبشرى بالجنة ، ولمن لم يلبس إيمانه بظلم الأمن والاهتداء ، وينال من ذلك الوعد بقدر ما فيه من الاستقامة وقلة اللبس ، فالمؤمن لما آمن تقبل الله إيمانه ودخل في أمانه فله الأمن في الدنيا والآخرة من كل آفة ، فلما أذنب خرج من أمان الله بقدر ذلك الذنب ، ونقص من الأمن بقدر ذلك واستحق العقوبة بقدر ذلك ، وهو أن يزول نعمة من نعمه عنه بقدر ذلك ، وإن شاء تفضل وعفا ، وإن عاقب زالت عنه من النعم بقدر ذلك ، وذلك قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[44] ، فالنعمة اسم جامع جملة لهذا الآدمي في بدنه ودينه ودنياه ، فلو لم يذنب لم يأخذ منه شيئا وكان على هيئته ، وإنما جاءت الأمراض والنوائب والأحوال المتغايرة لمكان الخطايا والذنوب ، غيروا فغير الله ما بهم وعفا عن كثير[45] ؛ قال الله تعالى في محكم تنزيله: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)[46]

---

38 - سورة آل عمران آية (١١٠)
39 - سورة هود آية (١١٧)
40 - صحيح البخاري ج٣/ص١٢٢١ رقم (٣١٦٨) ، صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٠٧ رقم (٢٨٨٠)
41 - سورة الأعراف آية (١٦٤-١٦٦)
42 - مسند أحمد بن حنبل ج٥/ص٣٩١ رقم (٢٣٣٧٥) ، مصنف ابن أبي شيبة ج٧/ص٤٦٠ رقم (٣٧٢٢١)
43 - ينظر: الجواب الكافي ج١/ص٥٠
44 - سورة الأنفال آية (٥٣)
45 - ينظر: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج٤/ص٢٠٩-٢١٠
46 - سورة الشورى آية (٣٠)

وما يحصل اليوم من قتل واختطاف وسفك للدماء وهدر للأموال وجرائم مخلة بالأمن هي بسبب كسب أيدي الناس ؛ قال تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)[47] وقال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)[48] وقال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)[49] وقال تعالى: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا)[50] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إذا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ، لم تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ في قَوْمٍ قَطُّ حتى يُعْلِنُوا بها إلا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ التي لم تَكُنْ مَضَتْ في أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا ، ولم يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عليهم ، ولم يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إلا مُنِعُوا الْقَطْرَ من السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لم يُمْطَرُوا ، ولم يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إلا سَلَّطَ الله عليهم عَدُوًّا من غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ ما في أَيْدِيهِمْ ، وما لم تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ الله إلا جَعَلَ الله بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ)[51] ، فليتق الله الذين يريدون أن ينعموا بالأمن والأمان ويعيشوا الحياة الطيبة ، وليتوبوا إلى الله جميعا ففي ذلك الأمن والفلاح في الدنيا والآخرة ، وليستجيبوا لأمر الله بقوله: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)[52] ، فالذنوب تزيل النعم وتحل النقم ، فما زالت عن العبد نعمة إلا لسبب ذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب ، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة" ، وبالتوبة والاستغفار والعمل الصالح ينعم بالأمن العباد وتعم البركة جميع البلاد[53] ؛ قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[54] ، وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ).[55]

فإذا أراد الله أن يطهر الأرض من الظلمة والخونة والفجرة ، ويخرج عبدا من عباده من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، فيملأ الأرض قسطا كما ملئت جورا ويقتل المسيح اليهود والنصارى ، ويقيم الدين الذي بعث الله به رسوله ، وتخرج الأرض بركاتها وتعود كما كانت ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ من الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ في الرِّسْلِ حتى أَنَّ اللِّقْحَةَ من الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ من الناس ، وَاللِّقْحَةَ من الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ من الناس ، وَاللِّقْحَةَ من الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ من الناس.)[56] ، فتنعم الأرض بالأمن ؛ قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّهُ نَازِلٌ "عيسى

---

47 - سورة الروم آية (٤١)
48 - سورة طه آية (١٢٤)
49 - سورة القصص آية (٥٩)
50 - سورة الإسراء آية (١٦)
51 - سنن ابن ماجه ج٢/ص١٣٣٢ رقم (٤٠١٩) ، مصباح الزجاجة ج٤/ص١٨٥ رقم (١٤٢٢)
52 - سورة النور آية (٣١)
53 - ينظر: السنن والمبتدعات ج١/ص٣١٨ ، طريق الهجرتين ج١/ص٤١٥ ،الجواب الكافي ج١/ص٤٩
54 - سورة النحل آية (٩٧)
55 - سورة الأعراف آية (٩٦)
56 صحيح مسلم ج٤/ص٢٢٥٤ رقم (٢٩٣٧)